فأقامت تجارتي في كساد واستمرت غرامني في الغرام
ما انقضى لي هناك حولين الا وقد احترت في ارتباد الطعام
وقد ادّنْتُ فوق الفين نقدا واذا بالخصوم تبغي خصامي
جئتكم هاربا ففرجتم الكرب وذدتم حوادث الأيام
واستقامت حالتي وزادت نموا فلك الشكر يا شريف المقام

تلك قصته مع التجارة وفشله فيها ولم يعاود ابن المقري اشتغاله بها واكتفى بالاتصال بملوك الدولة الرسولية ونشر العلم والتدريس ، وكان له بالاتصال مع الرسوليين تجارة وأي تجارة ، فقد أغنوه بعد فقر مدقع ورفعوا اسمه بعد خمول مزر فكان الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل يهب له على كل بيت قاله في قصيدة له في مدحه ألف دينار حتى إنه عجز عن تسديدها دفعة واحدة فتعهد في الباقي.

وابن المقري يعترف بفضل ملوك الدولة الرسولية عليه فيقول مخاطبا الاشرف ومتحدثا بفضله عليه :

خدمته فتولاني برحمته فكنت في بابه ابنا وكان أبا
وصير العلم لي شغلا وكلفني حلا لرمز وتسهيلا لما صعبا
وكان بحثي على مقدار همته حتى ملكت صفايا العلم والنخبا
وازددت فخرا على الاقران قاطبة اذ كان علمي من جدواه مكتسبا

فهو يعترف للملك الاشرف بفضل تفرغه للعلم وانصرافه عن أسباب التجارة حتى أصبح شهيرا بين أقرانه . وهكذا فان ابن المقري كان صنيع الدولة الرسولية وعالمها . وربما خرج عن سياسة بعض ملوكها كما رأينا ذلك واضحا في حادثته مع الناصر وانكاره عليه تأييد الصوفية إلا أن ذلك كان نادرا في حياة ابن المقري، بل ان ابن المقري أظهر لنا عدم تبعيته المطلقة لسياسة ملوك الدولة الرسولية في بعض الحالات فهو رجل حر الضمير يميل الى صفوف الشعب في حالة قسره وارغامه كما سنرى فيما بعد .